

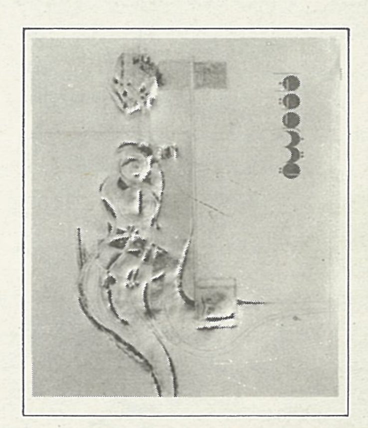


مجلة فكرية شهرية عامة تصدر في بغداد رئيس التحرير : شفيق الكمالي

السنة الثانية
العدد 1
أيلول 1976

من محتويات هذا العدد

المراسلات
مجلة افاق عربية
الصرافية - بغداد
هاتف : 22011 — 22012
صندوق بريد : 4032 (اعظمية)
العنوان البرقي : فاق - عراق



الغلاف الاول: وجه ثان لشخص آخر
للفنان صالح الجميعي
الغلاف الاخير: تصوير ناظم رمزي

تصميم وطبع مؤسسة رمزي للطباعة - بغداد - تلفون 38051

التربية واستثمار طاقات

برهنت الحركات الطلابية في المجتمع الراسمالي على اختلال ميزان القوى الاجتماعية لغير صالح الامبرياليين .

الشباب



الشباب قوة اجتماعية هائلة الأثر في حياة المجتمع الذي تنشأ فيه في كل زمان ومكان وفي شتى ضروب النشاط الاجتماعي من الناحيتين الايجابية والسلبية على حد سواء . وهذا يعني بعبارة أخرى ان الشباب سلاح ذو حدين مثل الماء أو النار : فاذا أحسن توجيهه تحول الى اداةحية بناءة لا حد لتطورها . واذا اسيء توجيهه ووقع فريسة للايديولوجيا المضللة أصبح عائقا في طريق النمو والتقدم وبخاصة أثناء الازمات السياسية والتحولات الاجتماعية الثورية. وفي التاريخ امثلة تتعذر الاحاطة بها للتدليل على ذلك . فقد وقع مثلا العبء الأكبر في حوادث الثورة الفرنسية ١٧٨٩ على عاتق الشباب التقدمي ، ولم يتجاوز روبسبير الثلاثين من عمره ولم يبلغ دانتون سنه الثلاثين . وحصل شيء مشابه في ثورة اكتوبر الاشتراكية ١٩١٧ ، وفي ثورة تموز في العراق: ١٩٥٨ و١٩٦٨ . كما ان الذين ناوؤا الثورات التقدمية المشار اليها كانت في طليعتهم زمر من الشباب المضلل الذين التحقوا بصفوف اعداء الشعب ودافعوا باستماتة عن الانظمة الاجتماعيةالمنهارة لصالح الطبقات الاجتماعية المخلوعة .

وفي المجال العلمي أيضا ـ النظري والتكنولوجي ـ يحتل الشباب مركز الصدارة في انجازاتهم الرائعة الفذة . فلم يتجاوز مثلا كل من آينشتين ونيل بوهر وديراك الخامسة والعشرين من عمره عندما قدم للعالم آراءه العلمية الاصيلة التي أهلته لنيل جائزة نوبل في الفيزياء . ولم يتجاوز جيمس ووت سنه الثلاثين عندما توصل الى ابتكاراته التكنولوجية المعروفة . ويصدق الشيء نفسه ايضا على عالم الفيزياء البريطاني الفذ نيوتن وعلى عالم الكيمياء الروسي البارز مندلييف . وعلى علماء افذاذ آخرين وأدباء وشعراء بارزين معروفين .



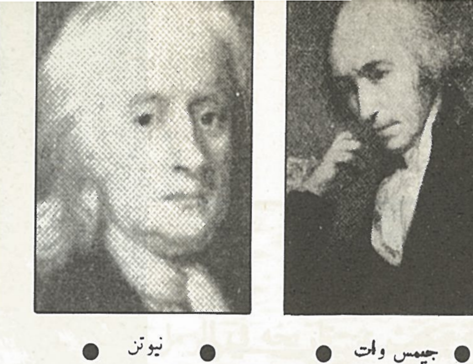
لقد أدت التحولات العلمية والتكنولوجية والاجتماعية المعاصرة الى استنفار الشباب، -لاسيما الطلاب في مرحلة التعليم الجامعي- والى تعبئة طاقاتهم الخلاقة للخدمة العامة والى العمل الدائب الرامي الى ازالة عوامل التخلف المادي والفكري في المجتمع الذي ينتمون اليه وبخاصة في المجتمعات النامية التي تخلصت حديثا من براثن الاستعمار والتبعية الثقافية. ولم يعد الطلاب الجامعيون اليوم - حتى في الاقطار الغربية المتقدمة - قوة احتياطية تقف وراء الطبقات الاجتماعية الرجوعية كما كانت الحال في الاجيال السابقة عندما كان الطلاب متحدرين في الأعم الاغلب من تلك الطبقات الاجتماعية ومن الفئات الاجتماعية الاخرى الضالعة بركابها، فقد شقت الجماهير الكادحة بنضالها المستمر وتضحياتها الجسام طريقها الى التعليم العالي وازداد عدد المتخصصين من ابنائها في مختلف المهن العلمية كالهندسة والطب والتعليم. وأصبح الطلاب المنحدرون من الطبقات الاجتماعية التي طحنتها الاوضاع الاجتماعية السيئة قوة شعبية هائلة.

وبرزت المرأة أيضا في الاقطار النامية لتحتل مركزها الايجابي في معركة البناء من أجل التقدم. واصبح الطلاب جزءا لا يتجزأ في حركة اجتماعية هائلة تشمل المجتمع البشري بأسره، وارتفعت اصواتهم المدوية - في قلب المجتمع الرأسمالي نفسه - تطالب بالحريات الديمقراطية وتدعو الى الوقوف بحزم ضد مدبري الحروب العدوانية ولفرض ابعاد التعليم عن نفوذ الاحتكارات وضد تدخل الدول الامبريالية في الشؤون الداخلية للدول الاخرى لا سيما النامية منها وللكف عن توجيه الاقتصاد الوطني وجهة حربية عدوانية وللعمل على تحسين الاوضاع المعاشية والثقافية لجماهير الشعب. وقد ساهم في الحركات الطلابية في فرنسا مثلا - وفي باريس بالذات - في شهر مايس ١٩٦٨ اكثر من ١٠٠ر٠٠٠ طالب، وكانت (قبل ذلك: أي في شهر نيسان من العام نفسه) الجامعات الامريكية الكبرى قد شهدت مظاهرات طلابية صاخبة استمرت لفترة طويلة من الزمن حتى بعد أن أعلنت ادارة جامعة كولومبيا في نيويورك مثلا قطع ارتباطاتها بالبنتاكون - وزارة الحرب الامريكية - وأعلنت أنها لم تعد مركزا للابحاث العسكرية المتعلقة بانتاج اسلحة الدمار الجماعي الشامل. كما ان الطلاب الامريكيين في جامعة بوستن لم يوقفوا اضراباتهم ومظاهراتهم الا بعد أن أذعنت ادارة الجامعة لمطاليبهم وفي مقدمتها زيادة المنح الدراسية. أما طلاب جامعة اريكون فلم يستأنفوا دراستهم الا بعد حصولهم على حق التصويت في انتخابات الرئاسة. وحدث شيء مشابه في الجامعات الامريكية الاخرى الكبرى حيث تراجعت السلطات الادارية الجامعية (ومن ورائها الاوساط الامبريالية الحاكمة وطواغيت الاحتكارات التي تسندها) عن مواقفها المعادية للطلاب واستسلمت للامر الواقع - مؤقتا على كل حال - تمهيدا لاتخاذ اجراءات وأساليب جديدة خفية وللانتقام - بعد ذلك - من قادة الحركات الطلابية.

لقد دلت الحركات الطلابية المشار اليها على افلاس النظام الرأسمالي وبرهنت (رغم نواقصها التنظيمية والايديولوجية ورغم عفويتها وتطرفها اليساري أحيانا) على اهمية الطلاب في المجتمع الحديث، كما برهنت أيضا على اختلال ميزان القوى الاجتماعية لغير صالح الامبرياليين. وبالنظر للفزع الذي أعترى الاوساط الامبريالية بفعل تعاظم تلك الحركات وبفعل الاحتمالات المخيفة التي تنجم عنها والتي تزعزع مصالح تلك الاوساط وتقض مضجعها فقد لجأت هذه الاوساط (بالنظر لخبرتها الطويلة في التدليس والمواربة) الى مسخ جوهر تلك الحركات وحرفتها عن مجراها الطبيعي فدست من يفسدها ايديولوجيا، ومن الناحية التنظيمية وشجعت المغامرين على رفع شعارات يسارية متطرفة.

يتجلى الأفساد الايديولوجي المشار اليه في النظرية المسماة «نظرية الجيلين» المتنافرين التي أخذت تنتشر بين الأوساط الغربية المعنية بعلم النفس وعلم الاجتماع في أعقاب الحرب العالمية الثانية وانعكست آثارها السلبية في الدول النامية. ولابد لنا أن نشير - قبل أن نلخص فحواها ونبين المآخذ العلمية عليها - الى الأمور العامة التالية: يقدر العلماء المختصون مجموع الاجيال البشرية المتعاقبة (منذ ظهور «الانسان العاقل» على سطح الأرض قبل زهاء ٥٠ر٠٠٠ سنة) بحوالي ١ر٦٠٠ جيل. وفي هذا السيل المنهمر من الاجيال المتدفقة الصاعدة يكمن ماضي النوع الانساني وحاضره ومستقبله. كما ان صراع الجنس البشري من اجل التحرر من قوى الطبيعة العاتية (الجامدة والحية) ومن مفاسد المجتمع الطبقي هو في الوقت نفسه ومن حيث الاساس صراع أجياله الصاعدة، وقد ثبت ان كل جيل ينظر دائما بعين الامل والحماسة الى الجيل الذي يليه ويعمل جادا وبمثابرة على جعله أسعد حالا منه وارفع مكانة وأرقى ثقافة ومن حيث اللياقة البدنية ايضا. كما ثبت ان كل جيل جديد يتلقى بارتياح من سلفه - من الجيل الذي سبقه - بعض مخلفاته وآثاره الحضارية والفكرية وينبذ بعضاً آخر ويقف موقف المحايد - اللا مكترث - من بعض ثالث. وثبت كذلك ان هناك اختلافات بايولوجية واجتماعية كبيرة وكثيرة بين أي جيلين متعاقبين في جميع مراحل التاريخ. وهذه سنة الحياة. وقد ذهب علماء النفس والاجتماع المعاصرون مذاهب شتى في تفسير طبيعة تلك الاختلافات وفي بيان أهميتها وبالغ بعضهم في تجسيدها ووضعوا ما يسمونه حديثاً «نظرية الجيلين» المتنافرين وعزوا انتفاضات الشباب الغربي الحديث (وبخاصة الطلاب في المرحلة الدراسية الجامعية) الى عوامل بايولوجية محضة وذلك بافتراضهم (دون سند علمي) وجود هوة سحيقة بايولوجية بين الشباب والشيوخ تجعل الشباب يرفض منجزات الجيل السابق ويمتعض من آرائه ومواقفه ويتهمه بالجمود والرجوعية وبالحيلولة دون التقدم الاجتماعي المنشود.

لا شك في أن سن الشباب هو فترة التحولات العقلية والجسمية والانفعالية السريعة وهو زمن نشوء الخلق وتكوين المطامح وبلورة وجهة النظر الى الحياة. وفي هذه الفترة من الزمن يسهل التأثير في المشاعر وحرفها عن مجراها السوي وايقاع صاحبها فريسة للملذات الزائلة مثل ممارسة النواحي الجنسية بشكل غير ملتزم ولا مسؤول



● جيمس وات ● نيوتن ● روبسبير

مشاهير لم يتجاوزوا الثلاثين

والاتصاف بروح المغامرة والطيش والفردية المتطرفة وعدم الاكتراث بالقضايا العامة . وأصحاب نظرية الجيلين المتنافرين يعللون انتفاضات الشباب ضد مساوىء النظام الرأسمالي الفاسد بأنها ناجمة في الاصل من طبيعة الشباب البايولوجية وانها أداة تعبير دفاعي ضد طغيان الجيل القديم وتحكمه في مصائر الشباب. كما أن أصحاب هذه النظرية يفسرون الانحرافات الخلقية المنتشرة بين فئات من الشباب الغربي المعاصر (الخنافس مثلا) بأنها تعبيرات عن النزعة الى الحرية الفردية والكرامة الانسانية ضد قيود المجتمع وتعسفه .

يتضح اذن ان الايديولوجيين الغربيين في علم النفس وعلم الاجتماع ينشرون رأيهم الموسوم بالصراع بين الجيلين : جيل الشباب الطالع وجيل الشيوخ المحافظ . ويعزون ظاهرة الصراع المزعوم لعوامل بايولوجية : باعتبارها نابعة في الاصل بنظرهم من الطبيعة البشرية ذاتها وانها تنتشر في جميع المجتمعات بصرف النظر عن اختلاف انظمتها السياسية والاقتصادية .

والشباب عندهم يقف بامتعاض وسلبية ومقت من المؤسسات الاجتماعية الراهنة (بحكم حداثة سنه من الناحية البايولوجية) ولكون تلك المؤسسات الاجتماعية لا تنسجم مع مطامحه أو تطلعاته . أي أن الشباب يجنح برأيهم نحو رفض أو تخريب منجزات الجيل القديم التي تحد من نشاطه وتقيد حريته . وهذا القول بنظرنا تضليل ومسخ للطبيعة البشرية ولجوهر العلاقات الاجتماعية. ففي حقل الاستغلال والاضطهاد وفي ميدان التحرر لا ينقسم الناس في أي مجتمع قديم أو حديث الى جيلين متنافرين بل الى جبهتين عريضتين احداهما الجبهة التقدمية التي تضم افرادا من الجيلين من ناحية والجبهة المناوئة(الرجوعية) التي تضم هي الاخرى أفرادا من الجيلين أيضا . وأصحاب نظرية الصراع بين الجيلين يخفون عن عمد العوامل الاجتماعية التي تستثير الشباب الغربي الواعي ضد المؤسسات الاجتماعية اللا ديمقراطية وضد نظام الحكم الفاسد ويتشبثون بتفاسير واهية تتعلق بفجوة السن (وبالخصائص البايولوجية الناجمة عنها) التي تفصل بين الجيلين القديم والجديد ويصورون حركات الطلاب العنيفة ضد النظام الرأسمالي الفاسد كما لو كانت تيارات اجتماعية طائشة ولا مسؤولة. ويدخل ضمن هذا الاطار « اخفاق اصحاب هذه النظرية في تفسير اختلاف سلوك شبان متقاربي الاعمار ينتمون الى طبقات اجتماعية مختلفة كما يخفقون أيضا في تفسير طبيعة النزعات الاجتماعية المختلفة ـ الى درجة التباين أحيانا ـ التي يعبر فيها شباب من جيل واحد عن مظاهر سلوكية مختلفة .

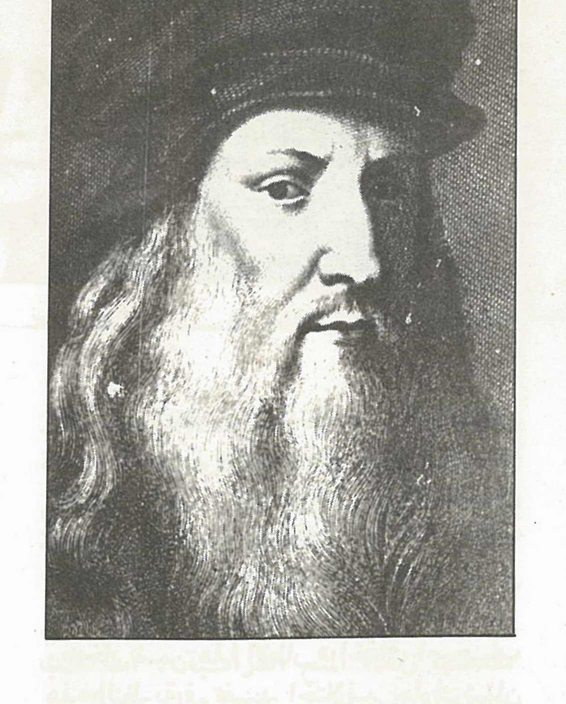
لا شك في ان سر صراع الشباب الغربي الواعي ضدالمؤسسات الاجتماعيةالرأسمالية يكمن في صعوبة تكيفهم لمستلزمات الوضع الاجتماعي الفاسد السائد . وهذا يعني ان جوهر انتفاضاتهم يرتبط بجوهر النظام الرأسمالي الفاسد . وهذا هو الذي يخفيه أصحاب نظرية الصراع بين الجيلين . معنى هذا بعبارة اخرى انه يستحيل على الباحث أن يفسر موقف الشباب الغربي الواعي المشار اليه تفسيراً علمياً اذا أغفل التناقضات الاقتصادية والسياسية الكامنة في طبيعة المجتمع الغربي المعاصر ، ووجاهة رأينا هذا تتضح اذا تذكرنا انتفاء وجود مواقف مشابهة لدى الشباب في الدول الاشتراكية وبخاصة في الاتحاد السوفيتي وفي الدول النامية ذات الانظمة السياسية التقدمية كما هي الحال في العراق . فليست هناك فجوة بين الجيلين تحول دون تلقيح حماسة الشباب بحكمة الشيوخ وذلك لانهما معا ينصهران في نشاط اجتماعي ايجابي بناء لتحقيق أغراض مشتركة ويبذلون جهوداً جسمية وفكرية مشتركة : يقدم الجيل القديم أثناءها خبرته الغزيرة في الثورة الاشتراكية وفي البناء الاشتراكي كما يقدم أيضا معرفته العلمية والتكنولوجية والتزاماته الاجتماعية للنظام الجديد . أما الشباب فانه يقدم من جهته نشاطه المتدفق وحماسته التي لا تنضب وامانيه ومطامحه الصاعدة أبدا وطاقاته الجسمية والفكرية الخلاقة .

ولابد من التنبيه هنا الى الدور الايجابي الفعال الذي يؤديه تنظيم وقت فراغ الشباب من خدمة لقضية الشعب عموما وللشباب نفسه أيضا . وقد ثبت ان مقدار وقت الفراغ الذي يتمتع به الفرد (يعني الوقت الفائض بعد اداء العمل المطلوب) وكيفية صرفه اياه هما مؤشران مهمان من مؤشرات التقدم الاجتماعي . وهما يختلفان اختلافا جذريا وحاسما في المجتمع الاشتراكي عنهما في المجتمع الرأسمالي في الوقت الحاضر : اي ان تنظيم وقت الفراغ يرتبط ارتباطاً عضويا بقوانين التطور الاجتماعي العامة وبالتبدلات التي تحصل في طبيعة العمل والحياة وبالعلاقة بين الفرد والمجتمع . ووقت الفراغ في ظل الاشتراكية هو ذلك الجزء من اليوم الذي يقع خارج نطاق الوقت المخصص للعمل الذي يصرفه صاحبه في ممارسة عمل جسمي وعقلي ايجابي على شكل هواية ـ علمية أو ادبية ـ ترفع من كفايته المهنية ومستواه الثقافي وتؤدي الى تقدم المجتمع في نهاية المطاف ، فوقت الفراغ اذن من هذه الناحية هو الوقت الحر : وقت النمو : الوقت الذي لا يبتلعه العمل المهني : الوقت المصروف في الانتاج بشكل غير مباشر . في حين أن وقت الفراغ في المجتمع الرأسمالي هو الوقت الذي يصرف عبثا أو هدرا في ممارسة التفاهات والانحرافات المتعددة الاشكال المختلفة الدرجات .

تؤدي المدرسة الدور الاول والأهم في تنظيم وقت الفراغ في الدول النامية بصورة خاصة وفي الدول النامية ذات الانظمة التقدمية كالعراق بصورة أخص . وهنا تبدو ضرورة جعل موضوعات الدراسة كافة بشكل بحيث تنمي الرغبة لدى الطالب في الحصول على مزيد من المعرفة وبذل مزيد من الجهد لتلقي مزيد من المعرفة في الكمية والعمق . كما تبدو أهمية غرس عادات الانضباط لدى الطالب وتعويده على المثابرة والشعور بالمسؤولية الاجتماعية وعلى التعاون الايجابي في سبيل المصلحة العامة والنظر الى مصلحته الخاصة في اطار المصلحة العامة لا خارجه أو على حسابه . وتعويده على احترام العلم والسعي نحو تلقيه وربطه بالحياة على القدر المستطاع وتعويده كذلك على التغلغل في الحقائق العلمية للكشف عن القوانين التي تتحكم فيها

ولغرض التوصل كذلك الى التعميمات والقواعد العلمية العامة لا الاكتفاء بمجرد الوقوف عند حد الحقائق العلمية المبعثرة الظاهرة : شريطة أن يكون الطالب في ذلك كله عنصرا ايجابيا نشطا فاعلا في تلقي المعرفة لا مجرد اداة مطواعة سلبية . ولابد أيضا من تعويده على الدراسة والتتبع واقتفاء آثار أسلافه في هذه الناحية بالذات عندما كانوا يتجشمون أعباء السفر الى الاماكن البعيدة والغريبة للحصول على المعرفة أو لنسخ كتاب مخطوط او العثور على حديث نبوي أو قول مأثور أو بيت من الشعر . مع العلم ان ذلك كله حصل بمبادرات فردية وفي وقت لم تكن فيه وسائط النقل مريحة ولا سريعة ولم تكن فيه أدوات التعليم متطورة بما في ذلك الحبر والورق والأقلام ناهيك عن رداءة التدفئة والانارة التي كان ضوء الشمعة أساسها . ومع العلم أيضا ان ذلك التتبع كان مصحوبا دائما بالتمحيص واعمال الفكر وبالموازنة والنقد . وهذا واضح في دراساتهم الادبية واللغوية وبلغ أعلى مراتبه في تدوين الحديث الشريف . يضاف الى ذلك توخي الامانة العلمية في النقل على القدر المستطاع والتزام الموضوعية المقترنة بالتواضع العلمي عند نقد الآراء او التعليق عليها أو اثبات المقولات والافتراضات وحتى الحقائق (بمقاييس ذلك الزمان) حيث كان الباحث البارز يختتم تعليقاته في مثل هذه الحالات بالعبارة الكلاسيكية الذائعة الصيت ((والله اعلم)) . كما ان المشتغلين بالقضايا الثقافية كانوا يتصفون بغزارة الفهم وتعدد الاختصاصات بشكل يثير الاستغراب ولم يضاهم في هذه الناحية الثقافية ـ على ما نظن ـ الا فطاحل الفكر الاوربي في عصر النهضة الاوربية في ايطاليا بصورة خاصة مثل ليونادرو دافنشي .

وكان اولئك الباحثون الافذاذ ناقلين ومجددين في آن واحد : أخذوا من التراث الفكري الانساني أحسنه واضافوا اليه وطوروه . وهذا هو الذي جعل اللغة العربية لغة الثقافة والعلم والادب والفلسفة والطب آنذاك على نسق اللغة اليونانية واللاتينية في الوقت الذي كانت فيه اللغات الحية المعروفة الآن (الفرنسية والانكليزية والالمانية



▲ ليناردو دافنشي

مثلا) لغات ثانوية الاهمية في المجال الثقافي وفي المركز الاجتماعي على حد سواء . وصفة أخرى بارزة من صفات أهل ذلك الزمان ترتبط بما ذكرناه أوثق الارتباط هي المكانة الاجتماعية المرموقة لاهل العلم والادب ورجال الفكر عموما وللمشتغلين بالتعليم أيضا ، فقد كانت منزلتهم الاجتماعية عظيمة بنظر الجماهير والحكام على حد سواء .

اننا نعيش في عصر التطور العلمي والتكنولوجي المذهل وفي عصر التحولات الاجتماعية الكبرى ، ولا شيء أنفع للشباب الواعي في قطرنا ـ وفي العالم العربي بالطبع ـ من التسلح بالعلم بالاضافة الى الالتزامات الوطنية . ولا يتم هذا كله على الوجه المطلوب على ما نرى الا عبر المطالعة الواسعة العميقة لكتب الاختصاص والكتب العلمية عموماً وللمجلات المماثلة ولكتب السلف ونبذ ما سواها . والعلم الحديث يسير بسرعة عجيبة في الوقت الحاضر بحيث تتعذر مواكبته حتى من جانب المتخصصين بالنظر للاضافات المتواصلة الجديدة ولكون بعض المعلومات الشائعة والنظريات تنهار اسسها العلمية في فترة وجيزة . وقد ثبت في ضوء احصاءات اليونسكو الاخيرة ان مجموع المجلات العلمية في مختلف الفروع وفي سائر اللغات يتجاوز ٢٠٠ر٠٠٠ مجلة اسبوعية وشهرية وموسمية تحتوي على أكثر من (٥ر٠٠٠ر٠٠٠) بحث وان أكثر من (٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠) صفحة علمية تطبع سنويا في العالم في مختلف الاختصاصات وفي شتى اللغات .

وملاحظة ختامية نود أن ننبه اليها زملاءنا المدرسين في مراحل الدراسة المختلفة ـ سيما الجامعية منها ـ هذه الملاحظة تتعلق بضرورة استناد عملية التعليم الى الحث والتوجيه والتشجيع ، والاقلاع عن العنف والازدراء والاهانة في حالة اخفاق الطالب في التوصل الى الاجابة المطلوبة . وقد ثبت ان اسلوب الحث والتشجيع أجدى من أسلوب العنف حتى في تعلم الحيوانات ، وهذا لا يتم على وجهه الاكمل الا اذا تكونت لدى المدرسين والطلاب مشاعر ايجابية ومواقف بناءة متماثلة ازاء الدراسة شريطة أن يتنبه المدرسون الى ضرورة سد الثغرات الموجودة في معرفة التلاميذ في هذا الموضوع أو ذاك وتركز اهتمامهم ـ عند تصحيح اجابات الطلاب ـ لا في النتائج وحدها وانما أيضا في الاساليب المتبعة للتوصل اليها . ولابد من الاشارة هنا الى اهمية التمييز بين أنواع الاخطاء التي يرتكبها الطلاب في حياتهم المدرسية : فبعض الاغلاط معقول ومقبول ومتوقع. وبعض آخر بليد وممجوج.والفرق بينهما هو ان النوع الاول ينم عن فهم السؤال وينطوي على الاتجاه السليم نحو حله ولكن صاحبه يخفق في التوصل الى الاجابة الصحيحة لخطأ ميكانيكي عارض يرتكبه أثناء ذلك . أما الاجابة البليدة فعلى العكس من ذلك ، وما يصدق على الاجابات الخاطئة يصدق أيضا على الاجابات الصحيحة :فبعض الحلول ميكانيكي ورتيب مألوف ومكرور ، وبعض آخر ينطوي على الاصالة او الابتكار، وهذا الذي ينبغي تشجيعه والاشادة بصاحبه ومواصلة توجيهه